## المتن

**القول الثاني**: إن الاستواء هنا بمعنى القصد التام؛ وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فُصلت. قال ابن كثير "أي قصد إلى السماء، والاستواء ها هنا ضُمن معنى القصد والإقبال، لأنه عُدي بإلى". وقال البَغوي: "أي عمد إلى خلق السماء."

## الشرح

إذن على هذا القول لا إشكال في الآية إذا فسرنا استوى بمعنى قصد ؛وأن المراد بالاستواء هنا القصد التام؛ وقالوا -رحمهم الله- القصد التام لأن أصل الاستواء أصل هذه المادة تدل على الكمال فيُقال استوى الطعام بمعنى كَمُلَ نُضجه ويُقال"ولما بَلَغَ أَشُدَّهُ واستوى"أي كمل عُقله. فلهذا قالوا القصد التام.يعني القصد إيش؟ القصد الكامل.

وما الذي جعلهم يُفسرونه بالقصد؟ جعلهم يفسرونه بالقصد لأن الحرف الذي عُدِّيَ به يتضمن معنى ذلك "قصدتُ إلى السماء" فلما عُدِّيَ "بإلى" التي يُعدى بها القصد صار استوى ضُمِّنَ معنى القصد. وأخذنا من كلمة استوى التي تدل على الكمال أن هذا القصد تامٌ كاملٌ.

فابنُ كثير-رحمه الله-قال: إن هذا الفعل لما عُدِّيَ بإلى يجب أن نُحولَه إلى تضمين معنى القصد؛ كما في سائر الأفعال التي تُعَدَّى بحرفٍ لايتناسب مع ظاهر لفظها ؛فإنها تُضَمَّنُ معنى ذلك الحرف.

## المتن

وهذا القول ليس صرفاً للكلام عن ظاهره، وذلك لأن الفعل "اسْتَوَى" اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء. فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به، ألا ترى إلى قوله تعالى "عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا" [الإنسان:6]. حيث كان معناها يروى بها عباد الله لأن الفعل "يَشْرَبُ" اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يَروَى، فالفعل يضمن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام.واضح؟.

## الشرح

نقول:"إلى" للغاية وهذا معناها الأصلي.ابن جرير ومَنْ تبعَه يقولون:إن"إلى"بمعنى على فيجعلون التجوز في الحرف؛ وهذا هو مذهب الكوفيون كما هو معروفٌ.

وابن كثير ومَن تبعه بل البغوي لأن البغوي قبل ابن كثير البغوي و مَنْ تبعه يقول: إن التجوز ليس بإلى بل بالفعل؛ فهو مُضَمِّنٌ معنىً يُناسب الحرف الذي هو"إلى" فما هو المعنى المناسب له؟ القصد.يعني أن اللهَ-عزوجل-لما خلق الأرض قصدَ وأرادَ إرادة تامة إلى خلق السماء. ثم ذكرنا مثالاً يتضحُ به المعنى"عينًا يشربُ بها عبادُ الله".كلمة يشرب ماهو الحرف الذي يُناسبها؟ "مِنْ" يشرب منها لأن العين لا تكونُ إناءً يُشرَبُ به بل هي موردٌ يُشرَبُ منه.

فيقولون التجوز هنا بالحرف والباء بمعنى مِنْ ويشرب على معناها الأصلي.وهذا مذهب الكوفيين.

البصريون يقولون: لاَ التجوز في الفعل ؛والباء على معناها الأصلي بمعنى"مِنْ"؛ لكن كلمة "يشرب" مُضَمَّنةٌ معنى يَرْوَى"عينًا يشربُ بها عبادُ الله" أي يَرْوَى بها ولا رِيَّ إلا

بعد شرب. فيقولون: نحنُ إذا قلنا إن يشرب ضُمِّنَ معنى يرْوَى لم نُخالف الظاهر لأنه لا ريَّ إلا بعد شُربٍ ونجعل الباء على معناها.

"ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ"طبقها على هذا المثال. فإما أن تقول:اسْتَوَى: بمعنى علا وتجعل "إِلَى" بمعنى "على"؛ لأن الحرف الذي يُناسب الاستواء بمعنى الارتفاع هو"على"؛ وعلى هذا نقول"ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ" أي على عرشه الذي هو فوق السماء.وإن كان هذا المعنى فيه أيضًا شيءٌ من القلق؛ لأن الآيات الأخرى تدلُ على أنه استوى على العرش بعد خلق السمواتِ والأرض كلها.ولو أننا قلنا: " اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ" وأُريد بها السماء الحقيقية لكان استواء الله تعالى يكون على شيئين: على العرش وعلى السماء؛ وهذا خلاف المعروف عند أهل العلم. على كل حال هم يرون أن"إلى"بمعنى على.

القول الثاني: يقول إن"إلى" للغاية على معناها الحقيقي كما قال في"يشربُ بها عبادُ الله" أن الباء على المعنى الحقيقي ولكن يشرب ضُمِّنَ يرْوَى ؛ هؤلاء قالوا: إلى على المعنى الحقيقي واستوى ضُمِّنَ معنى القصد؛ لكن القصد التام ؛لأنه مأخوذٌ من الاستواء وهو الكمال والتمام. والمعنى الذي قاله ابنُ كثير ومَنْ قبله ومَنْ بعده ؛أقربُ إلى الفهم وأبعدُ عن الاشتباه.ولهذا نقول: إنَّ اللهَ -عزوجل- "اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ" أي قصدَ قصدًا تامًا بإرادةٍ تامة إلى السماء فخلقها. "ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ"[فصلت:11]. وفي الآية الأخرى: "....ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[البقرة:29] وعلى المعنيين جميعًا فإننا لم نخرج عن الظاهر، لأننا لو قلنا: إنَّ الظاهر ما ذهبَ إليه أهلُ التعطيل من أن اللهَ كان في الأسفل ثم صَعِدَ إلى السماء ،لوقلنا:إن هذا هو الظاهر؛لكان ظاهرُ كلامِ الله-

عزوجل- معنىً باطلاً لايليقُ بالله؛ وكلُ معنىً باطلٍ فإنه لايمكن أن يكون ظاهرَ النصوص.

وبهذا التقرير دفعنا قول هؤلاء المُعطلة:أن أهلَ السُنةِ والجماعةِ يؤُولون فى النصوص.